الحديث والنشر عن الموضوع، زاد عدد المهاجرين. وما تزال موجات المهاجرين اليهود تتوالى الى فلسطين. وبعد ان كان اتجاه حركة نزوح اليهود من فلسطين المحتلة الى خارجها قد رجح في الاعوام الاخيرة، بحيث أصبح النازحون منها أكثر من القادمين اليها، بدأت موجات الهجرة الجديدة تعوّض عن الخارجين النازحين، بالاضافة الى اسراع الولايات المتحدة الاميركية باغلاق باب الهجرة اليها، الامر الذي أدّى الى تضييق فرصة النازحين القدامى، أيضاً. ولن يكون القادمون الجدد مجرّد اضافة الى الاعداد القديمة، بل هم جيش مدرّب، ومدجّج، وجاهز للاستخدام.

ان هجرة اليهود السوفيات فرع من القضية، وليست القضية كلها. فالقضية هي قيام اسرائيل أصلاً، ثمّ ما ترتّب على ذلك من عواقب ومضاعفات ما زالت واقعة حتى اليوم.

وتشكّل قضية هجرة اليهود السوفيات، نتيجة للمتغيّرات الدولية، خطراً داهماً تواجهه الامة العربية مع نهاية القرن العشرين وبداية القرن الحادي والعشرين، وهو خطر قد يؤدي، اذا استمر بالمفهوم الاسرائيلي، الى خلق بركان جديد في المنطقة.

وكثيراً ما قرأنا وسمعنا ان الصهيونية تخطط لاقامة «اسرائيل الكبرى». وتشكك الكثيرون في تلك المقولة، بناء على قاعدة في التاريخ تشير الى ان لكل دولة مقدرة محدودة على التوسّع واستيعابه، وقد تنهار اذا ما تجاوزت تلك الحدود، والمثال لذلك ألمانيا النازية. غير ان احداث الشهور الاخيرة كفيلة باعادة النظر، والاخذ بجدية احتمالات تحقيق اسرائيل لمرحلة جديدة من مراحل توسّعها، وذلك بتغيير مساحات أراضي الضفة الفلسطينية. وكلّما حققت اسرائيل مرحلة من مراحل توسّعها سعت الى اضافة مساحات أخرى اليها. وأشدّ ما نخشاه، الآن، هو ان يمضي الوقت وتمتلىء الضفة الفلسطينية بالمهاجرين السوفيات، ممّا يؤدي باسرائيل الى بدء حرب جديدة، لاضافة أراضٍ جديدة اليها، وهذه المرة من الدول العربية المجاورة. ولنا ان نسأل: هل جاء توقيت هجرة اليهود السوفيات، بهذه الاعداد الهائلة، مصادفة في هذا الوقت بالذات؟ أم هو الرد العملي على الانتفاضة التي قاربت ثلاثة أعوام دون ان تهدأ؟ ولا يعني ذلك عدم اقتناص اسرائيل لظروف دولية ملائمة لتنفّذ خططاً كانت تعدّ لها من قبل. وتتمثّل الظروف هذه في المتغيّرات الدولية الحالية، التي أسفرت عن حق المواطن السوفياتي في التنقّل دون قيْد، طبقاً لمبادىء حقوق الانسان.

وكارثة تهجير يهود الاتحاد السوفياتي الى اسرائيل هي الكارثة الثالثة التي يواجهها العرب، بعد كارثتي العام ١٩٤٨ والعام ١٩٦٧، حيث ان التهجير الذي يراد له، وبالحجم الذي ينتظر ان يتمّ به، يقدّم الى اسرائيل حافزاً جديداً للعمل بسرعة على استيعاب الاراضي الفلسطينية المحتلة. وقد قال اسحق شامير، ان التهجير على نحو ما هو مخطط له في حاجة الى اسرائيل كبرى.

ان ما تنزلق اليه أزمة الشرق الاوسط، بسبب موجة الهجرة اليهودية الحالية من الاتحاد السوفياتي، هو منعطف خطر. وربما يمضي وقت طويل قبل ان تظهر الآثار التي ستتركها هذه الهجرة، لا في فلسطين فحسب، بل في الدول العربية جميعاً. ان الموجة الحالية لا تقضي على ما تبقّى من القضية فحسب، بل تخلق واقعاً جديداً يقوم على أنقاض ما كان موجوداً بالفعل؛ وان فهم الموجة الحالية من هجرة اليهود السوفيات لا يمكن ان يكون صحيحاً، اذا تمّ بمعزل عن فهم الفكر الصهيوني ككل، ومخططاته التوسّعية، ومفاهيمه للتسوية الاقليمية في المنطقة.

ان أهمية الهجرة، بالنسبة الى اسرائيل، تفوق أية أهمية أخرى، لأنها تمثّل عصب المشروع الصهيوني، وتتصل بأهمّ مقوّمات وجود دولة اسرائيل، وهو الحشد القادر على ضمان بقائها،